

الجاز بقرطاج براعية تونيزيانا

ليس من اليسير تحديد الخيط الرابط والقواسم المشتركة بين الفنانين الذين يشاركون في الدورة الحالية لمهرجان الجاز بقرطاج برعاية تونيزيانا.

وعلى غرار العديد من مهرجانات الجاز الدولية الأخرى، كان الانفتاح على أوسع نطاق ممكن أحد المرتكزات والخيارات الأساسية التي قادتنا في برمجة هذه الدورة. وهكذا فإن هذه الدورة لا تقتصر على لون واحد من ألوان موسيقى الجاز المتعددة ولا تركز على جيل معين من الفنانين.

و بفضل الخمس عشرة تشكيلة القادمة من 8 بلدان مختلفة – الولايات المتحدة، البرتغال، كوبا، هولندا، تونس، بلجيكا إسبانيا والبرازيل تعدنا الدورة الحالية ببانوراما ثرية ومتنوعة لهذه الموسيقى المنفتحة على كل الأساليب التعبيرية والأدائية. وسواء كان مهجنا مع موسيقى الفلامنكو، مثلما هو الحال بالنسبة لكل من توماتيتو وبويكا، أو مهجنا مع موسيقى الروك أو موسيقى الفولك، كما هو الحال لدى أكسال ريد أو مايلو، أو كان ممزوجا بالموسيقى الألكترونية أو بموسيقى البلوز، وسواء كانت التأثيرات التي خضع لها شرقية، كما هو الحال لدى ظافر يوسف أو الأخوين أمين وحمزة المرايحي، فإن الجاز يظل ذلك المهاجر الأبدي، الذي يحط الرحال هنا أو هناك ليزداد ثراء واتساعا دون تشويه.

و إذا الفنانون الذين تستضيفهم الدورة السادسة لا يملكون ملامح مشتركة أو عناصر تشابه ، فبالإمكان أن نلاحظ ذلك "المنحى التوارثي" (تواصل السلالات) لدى عدد من المشاركين؛ من ذلك دجون لي هوكر الابن أو تشوشو فالداس (ابن بيبو فالديس)، من ذلك أيضا توماتيتو الذي يُعتبر الممثل الثالث لسلالة من عازفي قيثارة الفلامنكو، وكذلك كاندي دلفر التي ورثت السكسفون عن والدها هانس دلفر، وكايل الذي ترعرع في ظل عشق والده كلينت ايستوود لموسيقى الجاز) ويكفي أن نتذكر هنا الدور الذي لعبه ايستوود في الشريط السينمائي "بيرد" الذي كان تكريما رائعا لعازف السكسفون الأمريكي المذهل تشارلي باركر). على أن توارث الجاز لا يكتفي بالموهبة الأولية ولا بومضات الإلهام... بل إن اللقاءات التي تجمع بين الموسيقيين والتدريبات المتكررة ومشاركة الجمهور هي وحدها التي يمكن أن تنتج لحظات موسيقية خالدة على الرّكح أو تسجيلات تتحول، بمرور الزمن، إلى مقطوعات مرجعية. وعلى الرغم من "اللقب الشهير" الذي يحملونه قد يجد الأبناء أحيانا صعوبة أكبر في فرض اسمهم، وإنهم ليصبحون أكثر جدارة باللقب إن أفلحوا في ذلك. والواضح أن الورثة الذين يستقبلهم المهرجان قد كسبوا الرهان وغدوا جزءا لا يتجزأ من عائلة الجاز الكبيرة.

وتسعى الدورة الجديدة فعلا إلى أن تكون، على غرار عائلة الجاز، متنوعة ولكنها موحدة الصفوف، مختلفة ولكنها جامعة ومقربة بين التيارات والأجيال المختلفة. ومن ميزات هذه الدورة أن كل الأجيال ممثلة فيها : بدءا بالعميد تشوشو فالداس، الذي شارف على السبعين عاما، وانتهاء ببيتر سينكوتي، الذي يُعتبر من "القامات" في عالم الجاز، على الرغم من كونه لم يبلغ بعد الثلاثين سنة؛ وليس ذلك بغريب على فنان قوبل بالتكريم والثناء في مهرجان مونترو للجاز(بسويسرا) عندما أبدع، وهو لم يتجاوز السابعة عشر من العمر، في أداء الأغنية الشهيرة "نايت إن تونيزيا"(من تأليف ديزي قلسمي). وبين هذا وذاك نجد

شارمان روبرتسون ودجون لي هوكر الابن اللذين تتميز حفلاتهما بشحنة على الركح قد لا تتوفر لدى من هم دونهم سنا. ونجد أيضا داني كلاين مغنية مجموعة "فايا كون ديوس" ، التي بلغت مرحلة النضج بكثير من الصفاء النفسي وبصوت لا يزال أخذا كما عهدناه؛ ونجد أيضا جيل كل من أكسال راد وكاندي دلفر وظافر يوسف وكايل استوود، الذي يسعى بأسلوبه الراسخ إلى استكشاف ثنانيا الجاز المتعرجة. ومن بين الفنانين الذين هم في عقدهم الثالث والذين بدؤوا مسيرة فنية تعد بالكثير، نجد الفنانة بويكا الملقبة في أسبانيا بـ"البننت النارية" وجاسنتا المغنية البرتغالية ذات الطابع البلوزي (نسبة إلى موسيقى البلوز) أو - وهما الأكثر قربا منا- الأخوين أمين وحمزة المرايحي. وأخيرا نجد المجموعة الأصغر سنا ولكنها ليست الأقل قيمة، ومن بينها الثنائي البرازيلي اللامع فيليكس جونيور وهاملتن بنهيرو، أو الفنان مايلو، الذي وان كان قفز إلى أعلى ترتيب المغنين الأكثر انتشارا بفضل أغنية واحدة ، فان ألبوماته تشهد له بمقدرات استثنائية.

هكذا يتضح إذا، أن برمجة الدورة السادسة من "الجاز بقرطاج"، وان كانت تتميز بالانفتاح والشمولية، فإنها تظل متماسكة العناصر، باعتبار أن كل واحد من الفنانين المبرمجين يعكس تيارا ويحمل عناصر تجديد ويقترح قراءة خاصة به لموسيقى الجاز ذات الأفق الرحب. وما من شك في أن هذه الفسيفساء من أساليب الأداء المختلفة ستلقى إقبالا واسعا وستدخل البهجة على قلوب جمهور ذواق لا يرضى إلا بما هو أرقى و أفضل.